

## "داعش" في خلفياتها الفكرية والتنظيمية

الكلمات المفتاحية: حميد بارسانيا، داعش، أدوات الاستعمار، العهد الأموي، الخوارج، العهد العثماني، الصحوة الإسلامية.

### - ما هو رأيكم بالنزعات التطرفية التي تسببت بظهور داعش؟

بارسانيا: لا يمكن تقصي أساس ظهور داعش في إفراط وتفريط جماعة أو بعض الجماعات وفئة خاصة تعيش في منطقة جغرافية محددة.

فعوامل ظهور داعش أوسع من أن تُحدّد بمنطقة الشام والعراق أو الشرق الأوسط، وأعمق من أن تُحصر بإفراط وتفريط الأفراد، والأشخاص والجماعات. وينبغي أن يُنظر لعمق المسألة في إطار مواجهة حضارية وفي نتائج أعمال العالم الغربي مقابل الصحوة الإسلامية. فالممارسات العنيفة لداعش وأمثالها، لا تتمثل حقيقتها بأنها نتيجة لتطرفهم فحسب، أو نتيجة النزعة الظاهرية لدى جماعة خاصة وهروبها من العقل والعقلانية. أي أنّ المسألة لا تنتهي هنا، وأنهم جماعة فاقدون للاعتدال وللسلوكيات الملائمة.

لطالما كان التطرف، الجمود، النزعة الظاهرية وهروب جماعة معينة من العقل والاستنباطات العقلية من النصوص، موجوداً في الأفراد أو الجماعات المختلفة في مناطق العالم الإسلامي، ولا يزال. وإذا ما كانت هذه الأمور من المهدّات لظهور جماعات متطرفة، لكنّها لا تنتج في أيّ وقت، ولوحدها، ظاهرة في مستوى داعش.

### - إن لم يكن ظهور داعش عائداً إلى التطرف، فما هي إذاً أسباب تشكّلها؟

بارسانيا: أنا لا أقول أن لا دخل للتطرف في هذه المسألة، لكن لا يمكن تفسير ظاهرة داعش بهذه المسألة. هناك عوامل أكثر أهمية تستفيد من أرضية التطرف.

لظهور هذه الجماعات أساس في التنافس السياسي والأعمال السلطوية العالمية في هذه المنطقة. إنّ لدول مثل السعودية وقطر والأردن وأميركا وبعض الدول الأوروبية، دخالة في هذه القضية، ودور هذه الدول ليس واحداً، بل مختلف ومتفاوت.

لبعض هذه الدول كأمركا والدول الأوروبية، دور مركزي، والبعض الآخر كدول المنطقة له دور تابع. إنّ عمل هذه المجموعة ليس العامل الوحيد لإيجاد الممارسات المتطرفة لداعش، وتعاملهم في مواجهة ظاهرة أخرى أدى

إلى هذا الأمر، وهذه الظاهرة الأخرى ليست سوى الصحوّة الإسلاميّة، لذا، لا ينبغي الانتهاء بأنّ ظهور داعش يعود إلى أسباب هي في مستوى إفراط أفراد وجماعات معيّنة وتفريطهم، بل ينبغي النظر معها في أفق العوامل الاجتماعيّة الواسعة والعميقة كالطفرة الثقافيّة والحضاريّة للعالم الإسلامي، والصحوّة الإسلاميّة، والأداء التاريخي للعالم الغربي.

- إذًا، ترون أنّ داعش هي أيضًا جزء من المؤامرة السياسيّة للغرب على العالم الإسلامي؟

بارسا نيا: دخالة العوامل المذكورة ليس بمعنى إسناد هذه الظاهرة إلى المؤامرة السياسيّة لجماعة أو دولة غربيّة أو شرقيّة. المؤامرات السياسيّة هي مشاريع طبيعيّة محدودة، تتشكّل في بعض العمليّات الاجتماعيّة الأوسع. إن لم تكن لدينا الهبة والصحوّة الإسلاميّة، ولم تصبح المطالبة بتكوين وتشكيل القدرة العالميّة للإسلام جزءًا من المطالب العامّة للمسلمين، فإنّ أيّ مؤامرة إقليمية أو غربيّة لم تكن لتستطيع أن تمتلك، تحت غطاء الدولة الإسلاميّة، السلوكيات السبعية لداعش. وإن لم تكن ممارسات الدول عامّة، والغربيّة بشكل خاصّ موجودة، لما ظهر الرد على المطالبة الثقافيّة والحضاريّة للعالم الإسلامي، في الصورة الممسوحة والمتطرفة لداعش.

- ما هو دافع الدول الغربيّة من إيجاد داعش؟

بارسا نيا: داعش ليست نتاجًا لممارسات الدول الغربيّة المباشرة والابتدائيّة، هي الظاهرة التي تجد فرصة الظهور في بعض مواجهات الغرب مع العالم الإسلامي وفي مرحلة زمنيّة خاصّة. تمتلك الدول الغربيّة أيّ أميركا والدول الأوروبيّة أراضيّ ثقافيّة، واقتصاديّة، وسياسيّة مشتركة. وإنّ علاقاتهم الاقتصاديّة والسياسيّة ليست قابلة للدوام، في حال التخلي عن كيفية تعاطيهم مع مناطق العالم الأخرى. فالاقتصاد والسياسة العالميّة للغرب من خلال الاستقرار في الموقعية المركزيّة، غير قابلين للاستمرار والدوام من دون دوران بعض دول العالم الآخر في فلكهما وتبعيتها لهما. ولهذا السبب، ترى الحكومة الأميركيّة أو الدول الأوروبية أنّ التحولات في البلدان الإسلاميّة ذات معنى طالما هي في إطار مصالحها، وتبرر تدخلها في هذه الدول، على المستوى الداخلي، أو العالمي، من خلال أدبيات الدفاع عن المصالح الوطنيّة.

فالمصالح الوطنيّة هي جزء من الأدبيات السياسيّة للغرب، من أجل تواجده العسكري والسياسي في تحولات العالم الإسلامي. إنّهم ينشطون في هذه المنطقة منذ مائتي عام من أجل حفظ مصالحهم الوطنيّة. فتأمين المواد الخام من جهة، وإيجاد الأسواق الاستهلاكيّة لبضائعهم المختلفة العسكريّة وغير العسكريّة والحفاظ عليها من جهة أخرى،

من أهمّ المصالح التي يسعون وراءها. ولو أمكنهم لسلبوا من شعوب المنطقة حقّ ملكيّة المواد الخامّ وعلى رأسها النفط، وأعطوها للصناعة والصنّاعيين وفي الواقع، لأصحاب القوّة والثروة في العالم.

## - ما علاقة تأمين المنافع الاقتصادية والسياسيّة بظهور داعش؟

بارسا نيا: المصالح الغربيّة في المنطقة، لوحقت في المراحل الزمنيّة المختلفة، دومًا، تحت غطاء عناوين مختلفة. فالأدبيّات التي يستخدمها الغرب ليزرّ أهداف عمليّاته، هي في البداية، أدبيّات حديثة وغربيّة. "المصالح الوطنيّة" هي جزء من هذه الأدبيّات باللغة السياسيّة والديپلوماسيّة. البعض الآخر من هذه الأدبيّات يستفيد من المفاهيم العامّة، المفاهيم التي تتحلّى بقدرة إقناعيّة أكبر في البيئّة الثقافيّة للعالم الغربي وخارجها، كالاستعمار وعمارة العالم، والتنمية، والحرّيّة، والليبراليّة، والديمقراطيّة، وحقوق الإنسان، أو محاربة التخلف التاريخي، الاستبداد، والديكتاتوريّة ومحور الشر. هذه المفاهيم من خلال التحميل النظري الحديث والتفسير الدنيوي والعلماني لها، تمنح الغطاء الأيديولوجي لتحركات الغرب الاقتصاديّة والسياسيّة. أي أنّهم واقعيًا، لا يهدفون إلى عمارة العالم، وتحديث البلدان الأخرى، وتحقيق الديمقراطيّة وحقوق الانسان، والقضاء على الاستبداد والديكتاتورية فيها. إنّهم تحت غطاء هذه المفاهيم، يسعون وراء أهدافهم الاقتصاديّة والسياسيّة، ولهذا السبب تراهم يوجدون ويدعمون الدول المستبدّة التي تضمن تحقيق أهدافهم.

إنّ تحرك الدول والمؤسّسات الغربيّة نحو تطبيق المفاهيم المذكورة، لا يخدم أهدافهم وأغراضهم، بل ستكون له نتائج معاكسة بالنسبة لهم، ذلك أنّه في الوقت الذي يسعى فيه العالم الإسلامي خلف هويّته الثقافيّة والتاريخيّة، سيأخذ المجتمع الإسلامي تفسيره وفهمه الحضاري والديني من هذه المفاهيم.

إذا ما نزل الشعب في الدول الإسلاميّة إلى الساحات، وإذا ما تفعلت إرادة الناس في ظلّ الثقافة والتاريخ الإسلامي، فلن تكون النتيجة بأن تذكر الدول الغربيّة ذلك الشيء على أنّه في إطار المصالح الوطنيّة، ولهذا لا تتخذ أميركا والدول الغربيّة، على الرغم من شعاراتهم الأيديولوجيّة، موقفًا من الدول الاستبداديّة التي تؤمّن منافعهم الاقتصاديّة والسياسيّة، بل تدعمها وتدافع عنها.

لم يكن الغرب غير وفّي لشعاراته الأيديولوجيّة فحسب، بل كلّما اقتضت مصالحه، فإنّه يكون مضطرًا للاستفادة من المفاهيم النظريّة المقابلة والمنافسة أيضًا، وتصبح الاستفادة من هذه المفاهيم ضروريّة حين لا تكون هناك إمكانيّة للإلغاء، والتضعيف، والاستفادة من المفاهيم البديلة.

إنّ الصحوّة الإسلاميّة التي تشكّلت مع انطلاق الثورة الإسلاميّة، أحييت وفعلت المفاهيم الدينيّة الواقعة في إطار الثقافة الإسلاميّة، وهذا التّيار سيّجّه من خلال حضور المسلمين، نحو قدرة إسلاميّة واسعة. إنّ النهضة الإسلاميّة وتشكيل القدرة الإسلاميّة، ليست بالشّيء الذي يمكن للدول الغربيّة تحمّله، وسيستخدم الغرب في مواجهة هذه الحركة كلّ وسائله.

إلى ما قبل انطلاق الصحوّة الإسلاميّة، كانت المفاهيم الأيديولوجيّة الحديثة، الغطاء المناسب لهيمنة السياسة الغربيّة على هذه المنطقة. القوميّة، والعلمانيّة، والليبراليّة، والاشتراكيّة، والشيوعيّة، و.. كانت مفاهيم تطلّى بها كل من المعسكرين الشرقي والغربي، لتحقيق مصالحه في المنطقة. إثر انهيار الخلافة العثمانيّة، تشكّلت قوى مناطقيّة متعددة، استفادت كل هذه البلدان لتبرير نفسها، من هذه المفاهيم الحديثة، كالقومية العربية، والتركية وغيرها. وحتى المسلمون في هذه البلدان عندما كانوا يريدون مواجهة السياسات الغربيّة، كانوا يستخدمون هذه الأدبيات، مثاله، جمال عبد الناصر في مصر، وحركة فتح في فلسطين. إنّ النهضة الإسلاميّة وإعادة إحياء المعاني الدينيّة والإسلاميّة قد قللت من جاذبيّة المفاهيم المذكورة في نطاق المجتمعات الإسلاميّة، وأفقدت هذه المفاهيم جدوائيتها السابقة في هذه المنطقة.

يستفيد العالم الغربي في نطاق ثقافته، وكذا في أجزاء من الثقافة الإسلاميّة التي تشكّلت في ظلّ الثقافة الحديثة، من المفاهيم الحديثة في سبيل أهدافه وأغراضه السياسيّة والاقتصاديّة. ولكنّ الاستفادة من هذه المفاهيم في دائرة حدود الإسلام المحيي، وفي نطاق الثقافة العامّة للعالم الإسلامي غير مجدّية. فلا بدّ للاقتصاد والسياسة الغربيّة في هذا القسم من الثقافة الإسلاميّة أن يستعمل الأدبيّات الدينيّة.

عندما ينحّي العالم الإسلامي الأدبيّات التي لها جذور في علم وجود العالم الآخر / المقابل وعلم الإنسان خاصّته، يتحتّم على السياسة المرتبطة بذلك العالم الآخر، وبغية الحضور في العالم الإسلامي، أن تستفيد من أدبيّات العالم الإسلامي، وعندما تسنح الفرصة تستخدم هذه الأدبيّات بقراءة جديدة ومتناسبة معها، وفي غير هذه الصورة فإنّها تستخدم الأدبيّات الدينيّة والإسلاميّة بنحو عملائيّ تمامًا وعجول.

إحدى أوائل الاستخدامات الناجحة للغرب للاستفادة الخام من الأدبيّات الدينيّة لقسم من العالم الإسلامي، حدثت في أفغانستان بعد انتصار الثورة الإسلاميّة. ففي الوقت الذي كان المعسكر الغربي يعتبر الاتّحاد السوفيّاتي المنافس العالميّ له، وتفاجأت السياسة الغربيّة بانتصار الثورة الإسلاميّة في إيران، سعت إلى تصويب هذه الحركة، على قوّة منافسها، فكانت القاعدة ظاهرة جديدة تشكّلت عن هذا الطريق بواسطة السعوديين.

لقد وصف الإمام الخميني هذه الظاهرة التي اتخذت بعد انتصار الثورة أبعادًا جديدة، بالإسلام الأميركي. داعش أيضًا، ظاهرة لا يمكن تفسيرها من دون النظر إلى مجموعة [العوامل] هذه؛ والعوامل المؤثرة في ظهور داعش مختلفة، من جملتها:

- الممهدات والمقدمات الفكرية التاريخية في العالم الإسلامي.
- المواجهة بين الغرب والعالم الإسلامي على امتداد المائتي عام الماضية.
- النهضة والصحو الإسلامي، وانتصار الثورة الإسلامية.
- النشاط السياسي، العسكري، الاقتصادي للغرب في منافسة الإحياء المحدد للإسلام.

- بالالتفات إلى العوامل والمقدمات المختلفة التي لعبت دورًا في تشكل داعش، لا يمكننا إذًا، أن نعدّ داعش نتاجًا لسياسة أميركا، إسرائيل أو دول الغرب، وعلينا الإقرار بالدور الذي لعبه المسلمون في تشكلها...

بارسا نيا: إنك تلطف المسألة وتتكلم عن دور المسلمين. بعض المنظرين الغربيين، أو الذين يتخذون موقفًا من الإسلام، يتكلم عن دور الإسلام، بل يحاول القول بأنّ داعش هي نتيجة عودة الإسلام مجددًا إلى الساحة السياسية. وبعض المسلمين أيضًا الذين أذعنوا للتفسير الحديث للتدين، ولديهم قراءة علمانية ودينيّة للدين، يرون ظهور داعش نتيجة لدخول الإسلام ميدان الحياة السياسيّة، هذه الجماعة، التي تنظر، دون تصديق، إلى إحياء الثقافة والحضارة الإسلاميّة، وتشاهد العودة المحددة للإسلام في مختلف ميادين الحياة الاجتماعيّة، تقرأ بفرح ظاهرة داعش، كشاهد على فشل حضور الإسلام في السياسة.

لا شكّ في أنّه لو لم تحدث الثورة الإسلاميّة والصحو الإسلاميّة، وكان العالم الإسلامي يعيش في ظروف ما قبل الثورة الإسلاميّة، لكنّا شهدنا في المنطقة، بدلًا من انتشار داعش ومقاومة القوى الشعبيّة في العراق أو لبنان وسوريا، استمرارًا لوجود دول من أمثال حزب البعث في العراق، التي كانت تطوي طريقها، بعيدًا عن هويّتها الدينيّة والإسلاميّة، بخليط من الشعارات القوميّة، والاشتراكيّة، أو الليبراليّة. ولكن، هل كلّ ما يجري في المنطقة اليوم، هو نتيجة للمطالبة بالإسلام، وعودة الأمة الإسلاميّة إلى هويّتها الإلهيّة والقرآنيّة؟

إنّ حوادث العالم الإسلامي اليوم، تشبه من بعض الجهات الحوادث التي حدثت في عهد بني أميّة. ففي عهد بني أميّة أيضًا، شهدنا تشكّل حاكميّة باسم الخلافة الإسلاميّة، ذات أدبيات ظاهريّة، محاربة للعقل، تتوسّل العنف وإراقة الدماء. وواقعة عاشوراء مع كلّ هذه المظلوميّة قد وقعت في زمن تلك الخلافة.

لا شكّ في أنّ الاسلام لو لم يظهر، ولم تكن الآيات والرسائل الاجتماعية والتاريخية للقرآن الكريم، ولو لم تكن مساعي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه الحثيثة، ومجاهداتهم ومحارباتهم الاجتماعية، لما كان هناك أثر لبني أمية وخلافتهم الإسلامية. لكن هل يمكن نسبة كل ما جرى في عهد بني أمية إلى الاسلام أو إلى عمل المسلمين ومسلكتهم، حيث أخرجوا الإسلام من زاوية الذهن والقلب وأوردوه ساحة العمل والسلوك والبنى والعلاقات الاجتماعية والسياسية؟ وهل يمكن عدّ غلبة بني أمية شاهداً على فشل النظرية الاجتماعية في الإسلام، أو أنّ الأمر عكس ذلك، وهو أنّ غلبة بني أمية دليل على عدول المسلمين عن العمل بالإسلام، وفي الوقت عينه، علامة على نجاح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه المؤمنين؟

يبدو أنّ وجود الخلافة الأموية هو أولاً، نتيجة لنجاح الإسلام، وثانياً، ليس نتيجة لعدم عمل المسلمين بالإسلام، بل نتيجة التقصير وقلة عمل المسلمين بالإسلام. لقد حارب الإسلام لأكثر من عشرين عاماً، إلى عام فتح مكة، نظام العرب القبلي المشرك، وطوال الفترة المدنيّة، كان بنو أمية يستقرون في مركز قيادة الكفر، وحين فتح مكة، دخل الإسلام مكة منتصراً بمحورية التوحيد، فاستسلم في هذه الأثناء أبو سفيان وقادة الكفر الآخرون، من دون أن يدخل الإيمان قلوبهم.

لقد أدخل الإسلام مفاهيم وتقسيمات جديدة إلى شبه الجزيرة العربيّة. الإيمان والكفر، كانا مفهومين جديدين جلبا معهما تقسيماً اجتماعياً مناسباً، في ظلّ الإيمان بالتوحيد أو عدمه. وبموازاة اشتداد شوكة الإسلام ودخوله ثقافة شبه الجزيرة العربيّة، تشكّل أيضاً مفهوم جديد ألا وهو النفاق. النفاق ظاهرة اجتماعية، حيث لا تكون المفاهيم التوحيدية موجودة حال الغيبة أو العزلة عن الناس. فبالتزامن مع وجود التوحيد والتقسيمات المناسبة له في الساحة الثقافية، وعندما يكون الكفر في موقع الضعف؛ يجد النفاق فرصة للظهور. النفاق كفر مستتر وخفي، يزاوّل نشاطه تحت غطاء الإيمان. ومن الواضح، أنّه لا حاجة للنفاق فيما لو كان الكفر في موضع القوة، أو كان التوحيد والإيمان لا يتمتعان بمنزلة وموقعية خاصّة في نطاق الثقافة.

حين يصل بنو أمية إلى السلطة باسم خلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهذا يدلّ على أنّهم لم يتمكّنوا من محاربة التوحيد والرسالة في نطاق القيم والمبادئ الاجتماعية للمجتمع، ويدلّ على أنّه، رغم محاربة الكفار الكبيرة للإسلام، فإنّ الاسلام حضر في النهاية، كقيمة ومعرفه حاكمة على المجتمع، وتشكّلت الثقافة الإسلامية. أمّا علّة ترعّب النفاق، تحت غطاء المفاهيم الإسلامية والدينيّة، على عرش السلطة، فهو أنّ الاسلام والقرآن، بالرغم من حضورهما الواسع في الحياة الثقافية للمجتمع، لم يكونا يتحلّيان بالقدره والقوة اللازمة، وأبتلياً بأفات هيأت الفرصة لوصول الخصم، تحت ستار المظاهر الدينيّة، وذلك أيضاً إلى أكثر المراكز الاجتماعية حساسية، وقد تكون هذه

الظاهرة ناشئة عن تقصير المسلمين والمجتمع الإسلامي وغفلتهما عن المفاهيم والقيم والمبادئ الدينية. يعدّ الامام الحسين (عليه السلام)، الوضع المضطرب للمجتمع الإسلامي في أواخر عهد معاوية، حصيلة لتقصير المسلمين وإعراضهم، وخاصة العلماء منهم، عن القيم والمبادئ الإسلامية، ونتيجة لعدم اهتمامهم بأمر من قبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

بناءً على هذا، مع أنّ بني أمية لم يكونوا يستطيعوا مطلقاً، من دون وجود الإسلام، التحوّل من قوّة قبلية إلى قوّة علمية، إلّا أنّ وجودهم ليس لازماً طبيعياً لوجود الإسلام، بل لازم لانحراف الأمة الإسلامية وعدم عملها بالقيم التي حققت مستويات من النجاح على صعيد الثقافة العامّة. لهذا، لم يرّ الامام الحسين (عليه السلام) سبيل الخروج من هذه الآفة والبلاء الاجتماعي، بالعودة عن الإسلام، بل عدّ سبيل الخروج منها هو العودة إلى الإسلام وإصلاح أمة جدّه.

- إذا أنتم تعدّون داعش شيئاً من نوع الخلافة الأموية؟ وكيف تثبتون هذه العلاقة والارتباط والمشكلة؟

بارسانيا: الحدث الذي وقع في مناطق من سوريا والعراق تحت مسمّى داعش، حتّى لو لم تكن له امتدادات باتّساع الخلافة الأموية، ولا يمكن له ذلك، إلّا أنّه لا يمكن إنكار التشابه والمشكلة فيما بينهما. فبنو أمية بقايا قبيلة كانت في موضع المنافس لنفوذ الإسلام المعنوي والعالمي وسلطته. استفادت هذه السلطة في قالب النفاق من الإسلام كأيدولوجيا محرّفة. كان الإسلام الأموي هو الإسلام الانتقائي للأمويين، وسلطة الأمويين لم تكن السلطة النابعة من قلب الفكر الإسلامي، بل صنعية قبيلة، قامت بتحريف الفكر الإسلامي من خلال التعاطي الانتقائي. فقراءة الأمويين وتفسيرهم المحرفان، تحكهما النزعة الظاهرية، المحاربة للعقل، حيث قامت بالاستناد إلى ظواهر منتقاة من القرآن، بتكفير أهل بيت العصمة والطهارة وعدّتهم خارجين من الدين. سقوط السلطة الأموية لخبط النتائج / المخلفات السياسيّة لمعرفتهم المصطنعة، ولكنّ هذه المعرفة المنتجة لم تفقد استمراريتها التاريخيّة بنحو تامّ، بل أوّلاً: استمرّت صور معدّلة عنها من قبيل العقيدة الأشعرية، على أيدي الحكومات الحالّة محلّها. وثانياً: إنّ صورتها الأوّلية، تتجدّد كلّ برهة من الزمن، بتغييرات طفيفة، وبأبعاد محدودة، ومن دون أن تتمتع بالسلطة والامتداد الاجتماعي.

ويمكن رؤية نموذج من الدعوة الجديدة للإسلام الأموي في فكر ابن تيمية وعمله، ولكن بسبب عدم امتلاك هذه القراءة للأرضيات الاجتماعية الكافية، لم تستطع في أيّ وقت، ولن تستطيع أن تحظى بنتائج اجتماعية واسعة. إنّ داعش والقاعدة وشريحة كبرى من السلفيين الذين يهدفون إلى العودة إلى القرن الأول، يسعون إلى العودة إلى الإسلام الأموي، ولهذا يستفيدون من ذخائرهم المعرفيّة.

والفرق فيما بينهم وبين الأمويين يكمن في أنّ للإسلام الأموي جذور في العلاقات والروابط القبليّة للأمويين، والحال أنّ القدرة الظاهريّة للدواعش، لها جذور في القدرة السياسيّة، والعسكريّة، والاقتصاديّة لأميركا والدول الغربيّة.

- ما هو الدليل على أنّ دول الغرب ولأجل تأمين مصادر مناطقها جرّت العالم الاسلامي إلى التراث الأموي. أوليس لديهم إمكانات ووسائل أخرى؟

بارسا نيا: إنّ القوّة السياسيّة العالميّة للغرب، تفعلّ هذا المجال المعرفي في الساحة السياسيّة للمنطقة، لأنّها ترى في الإسلام المخيبي، المنافس الحي، والفعال والمفعم بالحركة.

إنّ الحياة المتجدّدة للعالم الإسلامي، قد حدّت من قدرة المفاهيم الاجتماعيّة الحديثة على المناورة في المجتمعات الإسلاميّة، وحصرتها في النطاقات الأكاديميّة الجامعيّة المحدودة، وفي دوائر معدودة للتّنوّر الحديث، وفعلت المفاهيم الثقافيّة والحضاريّة للعالم الإسلامي في نطاق الثقافة العامّة للأمة الاسلاميّة. ولهذا السبب، لم يعد العمل العام والواسع للعالم الغربي في المجتمعات الإسلاميّة قادرًا على الانضواء تحت المفاهيم الحديثة. إنّ التحوّلات المتتالية والمتسارعة بعد انتصار الثورة الإسلاميّة، قد أبطلت فرصة إعادة إحياء المفاهيم الدينيّة للعالم الإسلامي في إطار قراءات الحداثة وما بعد الحداثة أيضًا. ولهذا، لم يكن أمام السياسة والاقتصاد الغربي سوى العمل المتسرّع والخام في إطار المفاهيم التاريخيّة للعالم الإسلامي.

وفي هذه الظروف، لا بدّ من إيجاد تقسيمات جديدة من خلال التعامل الانتقائي مع التفسيرات والمفاهيم التاريخيّة للإسلام، وذلك من أجل مواجهة تشكّل القدرة الإسلاميّة. والنتائج الأمويّة والسفانيّة هي الخيار الأفضل الذي يستفيد منه الغرب في هذا المقطع التاريخي. وهذا الأمر يؤدّي إلى أن يتشكّل الفكر الذي استمرّ بعد بني أميّة، مع فقدانه لمحايله السياسيّة والاقتصاديّة والتاريخيّة، على هيئة توجّهات فرديّة ومحدودة، مرّة أخرى بممهدات سياسيّة جديدة على هيئة تيار اجتماعي واسع وعجول. وبهذا، يُعاد إنتاج النزعة الظاهريّة الأمويّة والسفانيّة المتطرّفة التي تشكّلت في ظلّ السلطة السياسيّة لبني أميّة وآل أبي سفيان، هذه المرّة في ظلّ المصالح الوطنيّة للدول الحديثة في قلب المجتمع الاسلامي، لمواجهة الأهداف التي تسعى إليها الصحوة الإسلاميّة. ولهذا السبب، لا يمكن تحليل الأبعاد الاجتماعيّة لهذه الحادثة بغضّ النظر عن البرامج السياسيّة لدول الغرب، وفي إطار النزعة الظاهريّة والتطرّفيّة للأفراد أو الجماعات المحدودة.



لظالما كان هؤلاء الأفراد والجماعات موجودين في تاريخ العالم الإسلامي وسيبقون موجودين. وتشكّل ظاهرة إجتماعية منتشرة وواسعة، من خلال إرجاعها إلى هؤلاء الأفراد، ومن دون النظر إلى العلاقات، والعوامل والبنى التي يكون لها امتداد متناسب وأبعاد الحادثة، علاوة على أنه نوع من التبسيط، هو مانع من المعرفة الصحيحة للظاهرة، وفي المحصلة، مانع من اتّخاذ الموقف الواعي واللازم بشأنها.

إذا كانت النزعة الظاهرية للفرقة العثمانية في القرن الأوّل بالنظر إلى المحمل الاجتماعي لها، تؤدّي تمامًا إلى تحليلها في إطار السلطة الأموية، فإنّ القشريّة والجمود والتعامل الانتقائي ومحاربة العقل عند القاعدة وداعش ينبغي أيضًا أن تُحلّل في إطار عمل أميركا والدول الغربية. وإذا ما عُدّ إسلام أهل الحديث والعثمانية هو الإسلام الأموي تمامًا، فينبغي حقًا، تسمية الإسلام التكفيري المعاصر بالإسلام الأميركي.

- يبدو أنّ تعاطي العالم الغربي مع الإسلام، متنوّع جدًّا وأوسع بكثير ممّا سمّيتموه الإسلام الأموي. إنّ وسائل الإعلام الغربية اليوم تؤيّد القراءات المختلفة للإسلام وتسعى وراءها، والإسلام الأوروبي هو أيضًا عبارة ترددها الدول الغربية، فكيف يمكن تعريف الإسلام الأميركي في قالب الإسلام الأموي؟

بارسا نيا: لا شكّ بأنّ الإسلام الأميركي لا يقيّد ويُحدّد في قالب الإسلام الأموي، وتسوّره بالإسلام الأموي أيضًا هو أمر مرحلي. وعلى الرغم من المشتركات بين الإسلام الأموي والإسلام الأميركي في التحريف، والتعاطي الانتقائي وفي الأيديولوجيا، هناك اختلافات فيما بينهما، وعمدة هذه الاختلافات هي أنّ النزعة الظاهرية والقشريّة العثمانية هي النموذج الأبرز والأتمّ للإسلام الأموي، في حال أنّ القشريّة، والتوجّه التكفيري، والجمود، هو سمة عجولة وخام متسرّعة من الإسلام الأميركي. وحالما تسنح الفرصة للإسلام الأميركي، فإنّه بدل أن يظهر في مظهر النزعة الظاهرية السلفية، سيقوم بتفسير المفاهيم الإسلامية تفسيرًا علمانيًا، وسيستفيد في هذا المجال، من التجربة التاريخية للعالم الحديث في مواجهة التراث المسيحي، وخاصة من التجربة البروتستانتية.

ويمكن رؤية نموذج ثابت من الإسلام الأميركي في كيفية مواجهة علمانية أتاتورك للنهضة الإسلامية. والتفسير العلماني للإسلام كان النهج الذي وضعه أردوغان أمام الموجة الأخيرة للصحوة الإسلامية في مصر. في الحقيقة، كانت الصحوة الإسلامية في مصر، عرضة لخطر نوعين من الإسلام الأميركي، الأوّل: النزعة القشريّة والظاهرية للقرن الأوّل، والثاني، التفسير والقراءة العلمانيّان للدين.

الإسلام الأميركي في أي صورة ظهر، فهو قبل أي شيء، علامة على الحضور الجديد لما كان يسميه الإمام الخميني "الإسلام المحمدي الأصيل"، أي علامة على الحياة الجديدة للإسلام وعودة التوحيد إلى الحياة الاجتماعية والسياسية للإنسان المعاصر.

لو لم تكن هذه الحياة الجديدة، لكانت اتجهت العملية العلمانية في المجتمعات الإسلامية إلى العلمانية الواضحة المعلنه، ولما كان العالم الغربي بزعمه أميركا السياسية بحاجة إلى التستر بالمفاهيم الدينية. إن النشاطات السياسية والاقتصادية للعالم الغربي تتشكل في المجتمعات الغربية عندما لا تكون الثقافات المحلية فعالة وحيّة، تحت غطاء أدبيات التنمية وأمثالها. وتتنظم المواجهات القومية أيضًا، في مقابل تغييرات العالم الغربي الأحادية الجانب والظالمة، من خلال المفاهيم المستعارة من ذلك العالم نفسه. وإن الحضور الحيّ والفعال للثقافة الإسلامية، يحتّم بشكل طبيعي على نشاط العاملين المباشرين وغير المباشرين، والعاملين الداخليين والأجانب، التوجه إلى المفاهيم ومنظومة المعاني الموجودة. إن قراءة منظومة المعاني هذه وتفسيرها من وجهة نظر الأشخاص الذين يتحركون في إطار أهداف العالم الحديث، وقيمه، ومقاصده ومبادئه، ستنتج قراءة حديثة للإسلام. وهذا التفسير، يتطلب عقيدة وشريعة متناسبة معه، وهذا النوع من التعامل هو التعامل الأنسب والأكمل، الذي يمكن أن يحدث في اختراق السنن الدينية للعالم الإسلامي.

بعض المنظرين يعدّون حدوث الثورة الإسلامية كردّ فعل على الحركة المتسارعة لما بعد الحركة الدستورية المشروطة في العهد البهلوي. وبرأيهم، إن الحلقة المفقودة التي أدت إلى الثورة، هي عدم التوجه إلى الثقافة الإسلامية، وعدم إعادة بنائها على أساس التفسير والقراءة العلمانية، والدينيّة، وقراءة هذا العالم. إن العملة السياسيّة والاقتصاديّة الغربيّين، تستروا بالمفاهيم الدينيّة من دون التصرف في محتواها المعرفي، عندما لم يجدوا بدًّا من ذلك، لممارسة نشاطاتهم الاقتصاديّة والسياسيّة. وهذا الأمر يحدث عندما تفعل الثقافة الدينيّة حضورها في الميادين السياسيّة والاقتصاديّة.

بناءً على هذا، فالاستفادة من الأدبيات الظاهريّة للإسلام الأموي من دون أيّ تصرف وإعادة قراءة، دليل على اضطرار دول الغرب مقابل الإسلام الحاضر والفعال في ميدان السياسة. وبالطبع، هذه الاستفادة الخام والأدواتية التي تتشكل فقط في أفق نشاط سياسي وعسكري، سيكون لها عواقب عليهم أنفسهم أيضًا، ليس بالإمكان السيطرة عليها. إنهم من دون الالتفات إلى العواقب الخطيرة لسلوكهم هذا، قد فعلوا الطاقات المدخرة والمتراكمة للعالم الإسلامي في مسار، لم تكن عواقبه متوقّعة حتّى بالنسبة لهم.

على أية حال، مع أنّ ظهور داعش حصيلة لتعاطي السياسة الغربيّة ودول المنطقة التابعة لها، مضافاً إلى الإرث التاريخي الأموي للعالم الإسلامي، هو أوّلاً: علامة على الحضور المجدّد للإسلام حتّى في الأبعاد السياسيّة، بحيث فرض على الإسلام الأميركي خطوات عجولة. وثانيًا: دليل على الأعمال غير الكافية التي ينبغي للإسلام القيام بها لاستمرار نشاطه الثقافي والاجتماعي.

- برأيكم ما هي الاستراتيجية التي ينبغي للصحة الإسلامية أن تعتمد عليها في مواجهة الحركة الانحرافية لداعش، وما سميتموها بالإسلام الأموي أو الأميركي؟

بارسا نيا: إنّ التعاطي الانتقائي لبني أمية مع حقيقة الإسلام، مع أنّه أمر كان يمكنه في حال استمراره أن يمدّن أصل الإسلام ورسالته المعنوية في التاريخ، ولكن مواجهته لم تكن في إنكار أصل الإسلام، بل في توضيح سيّد الشهداء (عليه السلام) وعمله الذي استطاع الحفاظ على أساس الإسلام في صلب الثقافة المبدئية للمجتمع الإسلامي. هذا التوجّه الانتقائي في التعامل مع الإسلام الأموي، هو أيضًا جزء من نشاط الإسلام الأميركي بمدف الحؤول دون الإحياء المجدّد لتاريخ الإسلام. جزء آخر من نشاط الأشكال الأخرى لهذا الإسلام، هو جعل النشاط التكفيري للظاهريين، ثمنا لترويج التفسيرات العلمانية للدين.

الصحة الإسلامية في مقابل النزعة الظاهرية، إذا ما لجأت إلى التفسيرات الدنيوية والعلمانية، فإنّها ستفقد أساس هويتها. وإنّ استمرار الصحة الإسلامية يكون في العودة إلى الإسلام المحمّدي وتوضيح التاريخ الإسلامي، وأخذ العبر والدروس منه، وفي الاستفادة من التجارب التاريخية المناسبة، التي تحفظ وحدة الأمة الإسلامية وانسجامها في استمرار حياتها الثقافية والحضارية. إنّ تاريخ العالم الإسلامي، تاريخ واسع وغني. وإنّ عنصر العقلانية الذي له جذور في تعاليم الإسلام الأصيلة، قد ترك كنزًا معرفيًا لا تُقاس لحاضر المجتمع الإسلامي. كما أنّ التاريخ الفقهي والكلامي لعالم الإسلام ليس تاريخ التكفير وقشريّة العثمانيّة أو الخوارج، فالتطرّف العثماني والخوارجي قد ساد فقط في مرحلة خاصّة من تاريخ الإسلام في ظلّ السلوك السياسي لبني أمية، وبعد ذلك كان هذا التيار دومًا، إلى العصر الحاضر، الذي احتلّ مكانه على محمل السياسة الدولية للغرب، على هيئة تيار محظي موجود [لا أكثر]. التيار السائد كان التيار الذي ساد الخلافة الإسلامية الممتدة من البلقان إلى الصين، بأقوامها وعنصراتها، ولغاتها، وأديانها ومذاهبها وثقافتها القومية المختلفة.

وإن تجربة حياة المداراة الاجتماعية فيما بين المذاهب والفرق الإسلامية المختلفة، وكذلك بين المسلمين وغير المسلمين، هي أكثر تقدماً وبدرجات من التجربة الضيقة الأفق للنواصب أو الخوارج وظاهري العثمانية. ولو لم تمهد الدول الغربية والدول المرتحنة لها، الأرضية السياسية لتطرف أهل الظاهر، لكان هذا التيار يمضي في ظلّ تصاعد أمواج الصحوة الإسلامية أوقاتاً أكثر عزلة من ماضيه. وما كان ليجد الفرصة مجدداً للنشاط الاجتماعي، بعد مضي ألف سنة على حكم بني أمية ألف شهر.

ويمكن للصحوة الإسلامية أيضاً أن تؤمن المداراة والتحمل الاجتماعي للمذاهب الإسلامية، والأديان التوحيدية، أو حتى للمجتمع البشري في إطار المبادئ الكلامية والمقررات الفقهية للفرق الإسلامية المختلفة، خاصة في ظلّ مواجهة الخطر المشترك للعالم الإسلامي، بل إنّ وجود الخطر المشترك للعالم الإسلامي، أي الصهيونية العالمية والنظام المستكبر للعالم الغربي، هو عامل مهمّ، ليصبح هذا التحمل وهذه المداراة ضرورياً للأمة الإسلامية، أكثر من أيّ وقت مضى.